

مداخلة:
أ. محمد العيد رتيمة
جامعة الجزائر

التقويم في ضوء النظريات والأهداف التربوية

إن التقويم في ضوء النظريات والأهداف التربوية التي يتوخى المربون في الوصول إليها جملة من الطرق التدريسية التي سنأتي على ذكر بعضها نظرا لكثرتها ونحدد إثر ذلك ومن خلاله تقييم عملية التعليم وتقويمها وكيفية الاعداد للقائمين عليها من أطر التعليم والتربية ولكن قبل ذلك سنحدد لغة وإصطلاحا مفهوم التقويم نفسه.

تذهب المعاجم على اختلافها منذ بواكير التأليف المعجمي عند العرب كمعجم المقاييس لأحمد بن فارس في الجزء الخامس ص 43 الى أن (ق و م) القاف والواو والميم أصلان صحيحان.

1- يدل أحدهما على جماعة من الناس كالقوم وهو مقصور على الرجال لقوله تعالى: "ولا يسئروا قوم من قوم" ثم قال "ولانساء من نساء" وكقول زهير:

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

2- ويدل الآخر على انتصاب أو عزم كمقام قياما إنتصب ويكون قام لمعنى العزيمة كما يقال: قام بهذا الأمر إذا إعتنقه فالقيام قيامان قيام حتم وقيام عزم، ومن هذا الباب قومت الشيء تقويما، وأصل القيمة الواو وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك أما قيمة "Valeur" ومشتقاتها فمصطلح مستحدث في شتى العلوم، ومختلف باختلاف النظريات وأهدافها وطرقها التدريسية ووسائلها واجراءاتها متكيفة بسرعة تكيف الإنسان وتطوره ونموه، وتشكيل طرائق معيشته لإيجاد التوازن بينه وبين البيئة.

فالتربية إذن هي عملية تغيير أو تكيف ونمو مستمر للفرد من أجل إيجاد التوازن بينه وبين البيئة التي يعيش فيها ولذلك أغراض وأهداف عديدة مرت عبر مراحل كان للتربية فيها وجودها المؤثر قبل وجود المدارس أصلا لأن التربية وجدت بوجود الإنسان وأنها كانت ذات

أهداف وإن هذا الهدف أو هذه الأهداف كان خاضعا من حيث إمكان تحقيقه لعوامل مختلفة وأن هذا الهدف قد غير من مكان الى مكان، ومن زمان الى زمان وفقا لتلك العوامل خاصة المؤثرة على نوع التربية، وأغراضها ومنها العامل الاجتماعي - الهيئات التي تشرف على التربية وغايات التربية المثلى - الإصلاح التربوي وهي عوامل تؤثر أيما تأثير على تطور الأغراض.

تطور أغراض التربية:

إن دراسة تاريخ العالم الثقافي والاجتماعي تؤكد لنا أن أغراض التربية قد تطورت واختلفت اختلافات كبيرة باختلاف الأمكنة من جهة واختلاف الأزمنة من جهة أخرى واختلاف النظريات التربوية والمدارس التربوية من جهة ثالثة كما اختلفت من جهة رابعة.

لذلك إعتبر في نظر كثير من المربين الفيلسوف والبراغماتي المربي الأمريكي "جون ديوي" صاحب الفضل العظيم في تحديد الأهداف التربوية في القرن العشرين (20). فالأهداف التربوية الحقيقية في نظره تنشأ من المواقف المبنية على المشاكل فالأهداف هي الغايات... هي الغايات المنظورة والنتائج المتوقعة للمعاملات الجارية ومن هنا فهي متعددة ومختلفة باختلاف مواقف الحياة ذاتها والمهم أنه ليست هناك أهداف ثابتة ومع ذلك فلا بد من تأكيد ميزتين هامتين:

1- تأكيد الأغراض الإنسانية وتحقيق حاجات الإنسان حيث يرفض بتاتا أن يكون الطفل سلبيا يقبل غيره دون تعليل بل يطلب منه أن يقف موقف الباحث المنقب عن الحقيقة، يفكر ويجرب بنفسه ليكتسب دراية بمواجهة مشاكل الحياة ومعالجتها.

2- تحقيق الذاتية نظرا لتعقد الحياة البشرية.

فالتربية الحديثة إذا حركة واحدة ذات قطبين فرد مجتمع فمراعاة طبيعة الفرد ممثلة في الطفل تتضمن قيما واعتبارات بسلوكية ومراعاة طبيعة المجتمع تتضمن قيما واعتبارات اجتماعية والمهم في كل ذلك كيف الوصول الى تحقيق هذه الغاية المزدوجة؟

إنه من الواضح بمكان أن لانصل الى ذلك من خلال رؤية أهداف التربية القديمة وبواسطة طرقها لأنها كانت تهدف الى تشكيل طبيعة الطفل بأن تفرض عليه طريقة التفكير التقليدية وطريقة العمل العادية وقد نظرت الى العواطف البشرية على أنها مثل وإن الشر متأصل وإن الحواس لا يمكن الثقة بها فهي ليست جديرة بأن تكون أساسا للمعرفة لذلك إعتمدت ملكة التفكير وجهاد الذاكرة كما إعتبرت الطفل رجلا مصغرا لا يعترف له بقيمة أو حقوق حتى يتمكن من تقليد الرجال البالغين، فالطفل الذي يلعب لا سبيل الى إصلاحه إلا بواسطة العصا وإرهاب السوط واشتتت في هذا الأسلوب حتى بذرت في نفوس الأطفال بذور الخوف وعدم الثقة بالنفس.

كما لا يمكن تحقيق الغاية المذكورة بنقيض التربية القومية واحتكارها للحصول على المعرفة، الغرض التثقيفي والنمو المنسجم لجميع قوى الإنسان والتطهير من الرذيلة وكسب الرزق والتكوين الخلقي ونمو كفاءة الفرد الاجتماعية كهدف أسمى وغير ذلك مما يجعل تعيين غرض عام وحيد للتربية من الصعوبة بمكان وذلك لأن لكل فرد وجهة نظره في التربية تخالف وجهة نظر غيره وهذا ما يجعل عملية التقويم والتقييم متباينة أحيانا رغم وحدة سلم التقييم كما في تصحيح الباكلوريا مثلا فقد وجدنا عددا لا يستهان به من الوثائق التي عرضت على التصحيح الثالث لوجود فارق يزيد عن ثلاث نقاط ونصف (3.5) نظرا لاختلاف النظام التربوي الذي تلقى هذا وذاك تعليمه من خلاله لأن كل نظام تربوي يقوم على فلسفة عملية خاصة تتصل بالحياة إتصالا وثيقا من زاوية معينة.

فالذين يجعلون المعرفة هدفا للتربية أي العلم لذات العلم نظروا من زاوية فلسفية محددة ثم إن الذين ظهرت على أيديهم نزعة تنظم ميدان المعرفة لامحتواه لذاتها أدى الى هدف هو " التربية كتهذيب " فالتربية يجب أن لا تهدف الى شحن العقل بالمعلومات بل يجب أن تعمل على تمرين العقل وتقويته وتحسين ملكاته، أما عن التربية كإعداد للحياة الكاملة فقد استهدفها **هربرت سبنسر** متأثرا بالحركة العلمية النفعية التي كانت منتشرة في عصره والتي سيطرت على الأهداف الربوية وارجعتها الى مقوماتها.

فلكي يكون الفرد مواطناً صالحاً يجب أن يتوفر فيه حسن الجوار والإنقياد للضمير واليقظة ومع ذلك فقد وجدت هذه النظرية معارضة شديدة من كبار رجال فلسفة التربية، فالعلم يمكن أن يحدد ما يرغب فيه الأطفال والبالغون ولكنه لا يمكن أن يحدد ما يجب عليهم أن يرغبوا فيه، فالتحليل ومعرفة الحقائق لا يكفي في تعيين أهداف التربية لعدة أسباب منها ما يأتي:

- 1- إن العلم نفسه ليس مصدراً لمعرفة المثل العليا
 - 2- أن العالم غير ثابت والمستقبل خاضع للتطوير والتغير السريع.
- مهمة التربية ليست المطابقة بين الإنسان وبين بيئته الحاضرة فقط لأننا لانعلم ما يخفيه له المستقبل (فلا تقصروا أبناءكم على تربيتكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم) وأهداف التربية تختلف من مربّي إلى آخر. ففي حين يستهدف أفلاطون وأنصاره من التربية تحقيق أن يصبح الفرد عضواً صالحاً في المجتمع لأن تربية الفرد ليست غاية لذاتها في نظرهم نجد **أرسطو** (المعلم الأول) واتباعه يرون أن غاية التربية بلوغ الفرد واستطاعته عمل كل ما هو مفيد وضروري في الحرب والسلم وأن يقوم بما هو نبيل وخير من الأعمال، وبذلك يصل الفرد إلى حالة السعادة هذا، في عهد اليونان أما منذ النهضة وفي العصر الحديث فقد تعددت كذلك الغايات بتعدد النظريات.

ففي حين يرى **فرنسيس بيكون** وتلاميذه أن غاية التربية أن تفتح أذهان النائمين وتوجههم الى طريقة كسب العلوم حتي يستطيعوا الإستفادة منها بتعويدهم طريقة الوصول الى المعرفة يرى غيره كأتباع الكنيسة واللاهوتيين أن الغاية من التربية والتعليم الوصول الى السعادة الأبدية عند الله ويكون ذلك بالتخلص من الرغبات الفطرية ومقاومة الغرائز.

أسلافنا من علماء الإسلام ومربيهم يذهبون الى غاية مزدوجة من مذهب متكامل يعمل للآخرة، لا ينسى نصيبه من الدنيا لا يلغى الفردية ولا يتركها تطغى على سلوك الإنسان، يستهدف تعليمه لتسخيره في خدمته وخدمة أمته بوسائل شرعية مشروعة تجعله يسعى على بصيرة وعلم سعيا مزدوج الناتج منه للساعي قسط عاجل وآخر آجل، العاجل منه مشترك الإفادة والآجل فردي لا يغني مولى عن مولى شيئا لاتزر وزارة وزر أخرى.

وقد ذهب المربون مذاهب عديدة غير التي ذكرت **كورسو وهربرت سبنسر وجون ديوي** مما يجعلنا نستنتج أنه نشأ في كل عصر مفكرون مصلحون لم ترضهم الأغراض العملية السائدة في عصورهم فحاولوا تغييرها، وأعلنوا رأيهم فيها ومنهم من نجح في التأثير على اتجاهات التربية وأهدافها في عصره ومنهم من لم تخرج آراؤه عن حيز الفلسفة والتنظير لذلك فأنا أدعو من هذا الملتقى رجال التربية والتعليم أن يعلنوا آراءهم

في تقويم منظومتنا بكل عملية و يقيموا هياكل موضوعية في مختلف مراحلها وفروعها وتخصصاتها للنهوض بها وتطويرها.

عي يد روسو (1712-1778) القائل في نصيحة المربي سر دائما على عكس النظم الموضوعية تجد نفسك على صواب في معظم الأحيان وعبر بصورة أخرى عن هذه الفكرة بقوله مهما يكن الأمر فتجنب كل شيء من شأنه أن يجعل عمل الطفل شاقا إذ أننا لا نهتم مطلقا بكمية المعلومات التي يتعلمها الطفل بقدر ما نهتم بأن الطفل لا يعمل شيئا ضد رغبته وفي هذا كما ترى مبالغة وأي مبالغة. ولكنه يمكن تحقيقها بواسطة التربية الحديثة مع ضرورة تكيفها مع واقعنا آخذين بعين الاعتبار الخصائص المميزة لأمتنا من جميع الجوانب على أن يتجه الاهتمام بالطفل المتلقي كما تقول التربية الحديثة " يجب نقل محور التربية من البالغ الى الطفل فالطفل إذن هو مركز الجاذبية والطفل إذن هو الشمس التي تدور حولها سائر الأفلاك الأخرى " بحيث يوضع الطفل دائما في موقف إيجابي فيجد نفسه مدفوعا تلقائيا الى التكيف مع المواقف وحل المشاكل والتفكير فيها ومعالجتها بنفسه للوصول الى حلها بجهوده الخاصة لذلك فإنه يستحسن في أغلب المراحل أن نقلع عن طرق التعليم والتلقين الى طرق التعليم ليكون التلميذ إيجابيا لا سلبيًا ونشيطا فاعلا مستكشفا لامستقبلا يمثل كل ما يلقي إليه مسلما بحالته.

لذلك فإنه يجب الإقلاع تماماً عن إلزام المدرس بإتباع طريقة مفروضة في التدريس بل على المدرس أن يكون المبدع لطريقته التي تتناسب والظروف المحيطة به فيصبح سيداً لإدارة شؤونه ولكنه عليه مع ذلك أن يكون ماهراً وملماً عارفاً مشرفاً موجهاً محدداً غرضه وأهدافه بكل دقة ولا يكتفي في ذلك ولذلك الكم المعرفي والحصيلة العلمية المجردة " لأن التعليم معرفة ومهارة وفن " فإذا كان هدفه نقل بعض المعارف سلك خمس مراحل هي:

- المقدمة والتحضير

- العرض

- الربط

- الاستنباط

- التطبيق

على أن لا تقدم بشكل آلي جاف بل أن تثار في شكل مشكلة أولاً وتجعل المتلقي في حالة شك أو إرتباك يعقبها تردد يدفع الى إستكشاف الحقائق التي توصل الى الحل وذلك من خلال خمس مراحل أيضاً:

1- الشعور بالمشكلة

2- تحديد المشكلة

3. افتراض الحلول المحتملة

4. اختيار صحة هذه الفروض عن طريق التعليل الاستقرائي

5. القطع بصحة الحل الراجح بواسطة الملاحظة والتجريب من جديد.

على أن يراعى في هذا وذاك سبع خطوات متكاملة ومتراتبة:

1. التدرج من المعلوم الى المجهول

2. التدرج من السهل الى الصعب

3. التدرج من البسيط الى المركب

4. التدرج من المبهم الى الواضح المحدد

5. التدرج من المحسوس الى المعقول

6. التدرج من الجزئيات الى الكليات

7. التدرج من العملي الى النظري

لتقويم نجاعة وفعالية ما ذكر غالباً ما تستعمل الأسئلة والأجوبة أثناء الدرس وخلال وإثره وأحياناً يبدأ بها ويختم وهذا ما يمنحها الأهمية الكبرى ويستوجب فيها الدقة والضبط والتحديد وغيره وذلك لما لاتخفى على حال التربية ما للأمثلة من المكانة العظيمة في التدريس لأننا من خلاله نصل بعقول المتعلمين ونثير شوقهم ونوقظ إنتباههم

للوصول الى الحقائق، المدرس القدير هو الذي يعرف كيف يسأل ومتى يسأل والعناية بالأسئلة والاعتراف بقيمتها إتجاه من إتجاهات التربية الحديثة وذلك لأن كل سؤال يحمل غرضاً معيناً وقد حددت أهم الأغراض فيما يلي:

- الوقوف على معلومات التلاميذ السابقة لتوسيع مادتهم وزيادة تجاربهم

- تنشيط عقولهم وإيقاظ إنتباههم وترقية مداركهم

- الوقوف على درجة التتبع للدرس وثبيت المعلومات وإختبار إستيعاب الدرس

- القضاء على الزهو والغرور عند بعضهم.

وذلك يشترط في الأسئلة شروطاً حتى تفي بالغرض من أهمها.

1- أن تكون واضحة سهلة العبارة ومناسبة لمدارك من تلقى عليهم وخالية من الإبهام. فالعجز عن الإجابة قد يكون سببه عدم فهم السؤال.

2- أن تكون محددة فلا يتناول السؤال الواحد شيئين معاً خاصة مع صغار الأطفال كما يجب أن تكون محددة لما تستهدفه.

3- أن تكون ملائمة لسن التلاميذ ومستواهم ومتصلة بالموضوع الذي يتناولونه

- 4- أن تكون باعثة على التفكير
- 5- أن لا تكون على وتيرة واحدة فتصبح مملة فلا بد أن تكون متنوعة الصياغة
- 6- أن ترتب ترتيباً منطقياً إن كانت متعددة
- 7- أن تتلى بمهارة ودقة (إذا كانت شفاهية أو مقروءة لامطبوعة)

ولتقدير حقيقة الأسئلة وأهميتها فكل ما نحن فيه وما وصله العالم من تقدم وحضارة ما هو إلا نتيجة جملة من الأسئلة وضعها المفكرون لأنفسهم وحاولوا الإجابة عنها وقد وصل بعضهم وأخفق بعضهم الآخر وهذا مثار الجدل ومكمن الإنشغال الذي عنه السؤال وبه الإنشغال فهل يعود نجاح بعضهم الى دقة الأسئلة ونجاعة طريقة المعالجة وحسن التقويم ورسوب الآخرين الى سوء ذلك.

إن التقويم خاصة لمشكلة طالما شغلت أذهان المربين آباءً ومعلمين واستولت على تفكيرهم وثار حولها جدل عنيف ونقاش حاد أحيانا وتبادلت فيها التهم باعتبارها المعيار لقياس وتقييم نتائج عملية التعليم التي تتلخص أهدافها فيما يلي:

- 1- قياس قدرة التلاميذ وفق مألديه من مواهب وميول.
- 2- قياس مدى تحصيل التلاميذ عن طريق اختبارات التحصيل.

3- تشخيص مواطن الضعف لإتخاذ وسائل علاجه تتناسب ومدى ماوصل إليه من حقائق في التشخيص.

4- تشخيص نتائج عملية التعليم وذلك للكشف عن مواطن الضعف في التدريس. فكثير من مواطن الضعف مرجعه طرق التدريس العقيمة.

5- التوجيه الى الدراسة المنتجة.

6- إيجاد الباعث أو الحافز على الدراسة

أما عن أنواع طرق التقييم المختلفة التي لجأت إليها المدارس كمقياس لقيمة المعلومات وكوسيلة لتحسين عملية التعليم فهي عديدة أشهرها خمس طرق شائعة هي:

1- الاختبارات الشفوية

2- اختبارات المقال

3- التقارير والمناقشات والمذكرات

4- الاختبارات المتقنة

5- الاختبارات الموضوعية الحديثة وهي ثمرة من ثمار الامتيازات

المتقنة وبواسطتها تم التغلب على مساوئ الاختبارات المدرسية التقليدية

فالأسس التي يمكن بواسطتها الحكم على مدى صلاحية وسيلة التقييم فهي عديدة أيضا وأشهرها

1- الموضوعية

2- صدق الاختبار لحسن إنتقاء الأسئلة وتنويعها

3- ثبات الاختيار لحسن إنتقاء الأسئلة وتنويعها

4- سهولة التطبيق. فالامتحانات يجب أن تكون عملية وسهلة في إعطائها للتلاميذ وفي حجمها وتصحيحها.

5- عنصر التحدي وذلك بإشعار الممتحن بأن الإمتحان من مصلحته وفي فائدته فيرحب به بصدق إذ أنه سوف يكشف له عن موطن من مواطن الضعف في نفسه فيتلافاه

6- وضوح معايير قياس القدرات.

ومع كل ما تقدم فإننا نقر من واقع التجربة أن الحيادية المطلقة رغم وحدة الرؤية وتوحيد النظر والطرق والوسائل التي قل أن توحد والتقويم الموضوعي عن الخالص ضرب من الطموح الذي قل أن ينال لذلك فإن على المَقُوم أن يتجرد لحظة التقويم ما أمكن ولن يكون ذلك ما لم يكن ممن نضج فكره وحصف رأيه ونمت خبرته وكثرت تجاربه وازدادت معارفه وتجددت وبذلك فليتنافس المتنافسون.